الباب الحادى عشر

تجارب تربوية

تمهيد :

هذه الطرق التى رسمناها لتدريس فروع اللغة العربية ، والتربية الدينية ، ليست قوالب فولاذية ، يصب فيها جميع المدرسين ، وتشكل بها أساليب الدراسة ، ويدرج عليها المدرسون نسخاً مكررة متشابهة ، ولكنها خطوط عامة مدروسة فى ظلال البحوث النفسية ، والتجارب التربوية ، ولها من المرونة والطواعية ما يجعلها قابلة للتعديل والتهذيب ، وللمدرسين أن يتصرفوا فيها تصرفاً حرًّا ، يستوجبه التجديد والابتكار ، بل عليهم أن يبرزوا شخصيتهم واستقلالهم فى أساليبهم التعليمية .

والتربية الحديثة لاترتضى أن يظل المدرس جامداً أمام أوضاع متوارثة ، بل تطمع فى أن يكون له من الجرأة والتحرر ما يمكنه من أن يعرض أسلوباً جديداً فى تناول المنهج ، أو فى طريقة التدريس ، أو فى الأمرين معاً ، ما دام هذا الأسلوب الجديد يرسم أقرب الطرق وأوضحها ؛ لتحقيق الغايات التربوية العامة والخاصة للمادة الدراسية .

والتربية الحديثة هى التى نادت بأن يكون للتجارب شأن واعتبار فى المجالات الدراسية ؛ حتى تظل التربية دائماً عملية نامية ، تتجدد حيويتها بما تقتبسه من النتائج الناجحة لهذه التجارب التربوية .

وفى ضوء هذه الفلسفة عنيت المعاهد والكليات التربوية بأن تزاول نشاطها التجريبى فى مدارس نموذجية ، تكون لها أشبه بحقول التجارب ، ولا يعنيها أن تكلل تجاربها بالنجاح دائماً ؛ فالفائدة التى تشير إليها التجربة الفاشلة لاتقلّ فى قيمتها التربوية عن نتيجة التجربة الناجحة ، بل ربما كانت أدعى إلى تعديل واجب فى المناهج أو أساليب التدريس .

وفى دروس اللغة العربية ، والتربية الدينية مجال يتسع لكثير من هذه التجارب التربوية ، وأملنا كبير فى أن يرعى المدرسون هذه الناحية ، وأن يطالعونا دائماً بما قاموا به

من تجارب ، قد خططوا لها ، وراقبوا سيرها ، وسجلوا نتائجها ، واطمأنوا إلى هذه النتائج .

ورغبة منا فى تشجيعهم على اقتحام هذا الميدان ، نسوق لهم — على سبيل المثال — طائفة من هذه التجارب ، قام بها زملاؤهم فى المدارس النموذجية وغيرها :

١ — تدريس اللغة العربية وحدة متماسكة :

عماد هذه الطريقة :

أن تدرس اللغة العربية فى ظلال نظرية الوحدة ، لانظرية الفروع ، بمعنى أن اللغة مادة واحدة ، لاتقوم بين أجزائها تلك الفواصل المصطنعة ، ولاتعرف التمزيق والتقسيم إلى فروع مختلفة ، تحمل هذه الأسماء التقليدية ، وهى المطالعة ، والمحفوظات ، والقواعد ، والإملاء ، والتعبير . . . .

وقد شرحنا فى فصل سابق الأسس النفسية ، والتربوية ، واللغوية ، التى تستند إليها نظرية الوحدة .

مجال تطبيقها :

طبقت هذه الطريقة فى جميع فصول الصف الأول من مدرسة النقراشى النموذجية الإعدادية فى العام الدراسى (٥٦ — ٥٧) وكان لى الإشراف على هذه الطريقة فى ذلك العام ، ثم استمر تطبيقها مع تلاميذ هذا الصف فى الصفوف التالية ، التى انتقلوا إليها.

محور هذه الطريقة :

المحور الذى دارت حوله هذه الطريقة هو القراءة ؛ لأنها المجال الطبيعى لدراسة اللغة أفكاراً ، ومفردات ، وأساليب ، وخصائص .

الخطة التنفيذية :

أعدت مادة القراءة التى قدمت للتلاميذ فى هذه التجربة، من القصص الشائقة ، والموضوعات الطريفة ، تعرض عليهم مطبوعة فى بطاقات مطولة ، تشتمل كل منها على قصة قصيرة ، أو جزء من قصة طويلة ، وعلى طائفة من الأسئلة ، تناقش بها الجوانب

المختلفة ، وتتعهد فى التلميذ الخبرات والمهارات المطلوبة ، ومن هذه القصص والموضوعات ما يتسع لبعض الأناشيد والقطع الأدبية شعراً ونثراً .

واعتمدت مادة القراءة — كذلك — على الكتب المدرسية المقررة ، وعلى القصص المطبوعة المناسبة للتلاميذ فى مكتبة الفصل أو مكتبة المدرسة . وأصبح فى يد التلميذ طائفة منوعة من المادة القرائية ؛ وأصبح جو العمل كله جو نشاط وتنافس فى القراءة .

تطبيق هذه الطريقة داخل الفصل :

١ — توزع على التلاميذ البطاقة الجديدة ، أو يطالبون بإخراج البطاقة السابقة .

٢ — يقرأ التلاميذ ما فى البطاقة ، مع اتباع الطرق التربوية فى تدريس القراءة .

٣ — يقرءون الأسئلة التى فى البطاقة ، ويناقشون فى الإجابة عنها ، ومن هذه المناقشات ما يتجه إلى المفردات اللغوية ، ومنها ما يتجه إلى فهم المعنى ، ومنها ما يتناول جانباً من القواعد ، فى ظل المنهج المقرر ، وبطريقة عملية ، ومنها ما يطالب التلاميذ بالتعبير الشفوى أو الكتابى ، وبعضها يعنى برسم الكلمات رسما صحيحاً ، أو رسم بعض الجمل رسماً جميلا .

هذه هى الخطوات العامة لطريقة معالجة الموضوع ، وكل بطاقة تشتمل على هذه الألوان ، مع إدخال شىء من التغيير والتجديد والابتكار فى كل بطاقة .

وليس معنى هذا أن تعالج فى حصة واحدة كل هذه الألوان ؛ فهذا متعذر ، ولكن ينبغى أن يحدد لكل درس طائفة من هذه الأغراض ، وأن تكون هذه الأغراض واضحة فى ذهن المعلم ، ومعدة فى كراسته ، وأن تتحقق الأهداف كاملة بتحقق تلك الأغراض المحددة لكل درس .

وهذه الطريقة تتيح للكسب اللغوى أن ينمو نموًّا متكاملا فى سائر اتجاهاته : كالقراءة ، والفهم ، والتعبير ، والتذوق الأدبى ، والثروة اللغوية ، والرسم الإملائى الصحيح ، والرسم الخطى الجميل ، من غير أن تطغى ناحية على أخرى ، ومن غير تقيد بحصص معينة ، أو فرص خاصة ، قد تمكن لبعض الفروع ، ولا تمكن لبعضها الآخر .

وهذه الطريقة — كذلك — تشعر التلميذ والمعلم بوحدة المادة ، وتقضى بإلغاء أسماء الدروس ، تبعاً للفروع التقليدية ، بل تتناول اللغة على النحو المعدّ فى البطاقة .

علاج هذه الطريقة خارج الفصل :

تعدّ هذه الطريقة خارج الفصل حلقة متممة للعمل بها داخل الفصل ، ومن محاسن هذه الطريقة أنها ترتب للتلميذ دائماً واجبات منزلية منظمة عاجلة ، يؤديها ويجنى منها فوائد متجددة ، تنهض به ، وترفع مستواه ، بصورة مطردة ؛ فهذه الأسئلة والمناقشات التى تشتمل عليها البطاقات ، قد يكلف التلميذ أن يستقل ببعضها فى المنزل ، كما أن الواجبات الكتابية قد يؤدى بعضها فى الفصل ، وبعضها خارج الفصل .

ويمكن بهذه الطريقة — أيضاً — علاج الفروق الفردية بين التلاميذ ، كما يمكن بها رسم طريقة دقيقة محددة ، لاشتراك الآباء فى معاونة أبنائهم .

وأعتقد أن الواجبات المنزلية لاتلقى من المدرسين والتلاميذ — فى ظلال الطريقة التقليدية — مثل هذا التنظيم الدقيق ؛ ولهذا يكثر إهمال التلاميذ ؛ إذ يتركون الدروس تتراكم أمامهم ، ويتبدد من أذهانهم ما أفادوه منها ، ويفرّون من الحفظ والتحصيل والكتابة ؛ لأن لهذه الواجبات — فى نظرهم — آجالا ممتدة ، يستطيعون فيها المطل والتسويف.

صلة هذه الطريقة بالكتب الدراسية :

لايسبق إلى الظن أن فى هذه الطريقة إهداراً للكتب المدرسية ؛ فبجانب مادة القراءة فى البطاقات المطبوعة يقرأ التلاميذ فى الكتب المقررة للقراءة ؛ وبعض الأسئلة فى البطاقات تحيل التلميذ على كتاب القواعد ؛ لحل التمرينات التى به ، أو تحيله على نص فى الكتاب المقرر . . . وهكذا .

ومن المسلم به أن الصلة بين هذه الطريقة والكتب المدرسية تشتد وتقوى إذا ألفت هذه الكتب على أساسها .

نتائج هذه الطريقة :

أعرض — فيما يلى — هذه النتائج ، نقلا عن تقرير قدمه المدرسون الذين قاموا بإجراء هذه التجربة فى آخر العام الدراسى (٥٦ — ٥٧) مع شىء من التصرف :

جانب القراءة :

١ — قرأ التلاميذ قراءة واعية دارسة عميقة ١٨٦٠ سطراً ، أى خمسة أمثال ما كان مقرراً أن يقرءوه بالطريقة التقليدية .

٢ — قرءوا — إلى جانب ذلك ، وفوق ما كان مقرراً — قصتين من حجم متوسط ، هما قصة « موسى وبنو إسرائيل » وقصة « إسماعيل الذبيح » .

٣ — قرءوا فى كتاب القراءة ما كان مقرراً ، قراءة لاتقل فى الكمّ والكيف عن قراءة زميل لهم فى مدرسة أخرى .

٤ — أتاح لهم الاطلاع الفردى ، والمجهود الشخصى الموجه ، قراءة نحو ٢٢ قصة .

٥ — روعيت الفروق الفردية فى القراءة مراعاة تامة .

٦ — ارتبطت قراءتهم — فى كثير من الأحيان — بالمشروعات التى يدرسونها ؛ فتحققت الوحدة الكاملة بين اللغة العربية وسائر المواد .

٧ — قرأ التلاميذ فكرة كاملة عن موضوعات كثيرة ، لافقرات مجتزأة كما فى بعض كتب القراءة .

٨ — أصبح المدرس يقبل على تدريس المادة بشغف ؛ لأنها من إنتاجه أو اختياره ، لاشىء مفروض عليه .

وأعتقد — بعد ذلك — أن هذه الطريقة قد حققت غاية أساسية وهى القدرة على القراءة ، وجعلها عادة محبوبة للتلاميذ .

جانب الفهم :

تقوم هذه الطريقة على أساس الفهم الدقيق لكل ما يقرأ ، ويشمل ذلك النواحى الآتية :

١ — فهم المعانى العامة للمقروء .

٣ — فهم المعانى الضمنية ، وما بين السطور .

٣ — ترتيب الأفكار والربط بينها .

٤ ــ مناقشة المقروء ونقده .

٥ ــ الموازنة بين المقروء وما يشبهه أو يخالفه .

وقد أضيفت مفاهيم جديدة إلى أذهان التلاميذ ، من المادة المقروءة ، مثل :

١ ــ إثارة الشعور الوطنى فى نفوس التلاميذ .

٢ ــ فكرة كاملة عن الريف المصرى بجميع نواحيه ، تصور جماله ، وطبيعته ، وهدوءه ، وعاداته ، وتقاليده .

٣ ــ بعض قصص الحيوان التى ترمز إلى معان وطنية وإنسانية .

٤ ــ صورة واضحة للبيئة الصحراوية .

٥ ــ صورة ناطقة للربيع وجماله وتنسيقه .

٦ ــ فكرة عن أعياد الميلاد والاحتفال بها .

٧ ــ بعض التمثيليات الوطنية والتاريخية ، والترفيهية ، ذات المغزى الوطنى والقومى .

٨ ــ معنى التضحية والطاعة فى قصة الذبيح .

٩ ــ قصة بنى إسرائيل وغضب الله عليهم .

جانب التعبير :

عبر التلاميذ عن كل هذه المفاهيم ، تعبيراً شفوياً وكتابياً ، بأساليبهم الخاصة ، لا بعبارات تفرض عليهم ، واستطاعوا أن يصوروا الأفكار التى حصلوها تصويراً مقبولا .

وقد جنبتهم هذه الطريقة الموضوعات التى تعرض عليهم ، وتعلو عن مداركهم ، أو لا تتصل بخبراتهم .

ومع التسليم بوجود الفروق بين التلاميذ ، صار فى مقدور كثير منهم أن يكتب أربعين سطراً فى الموضوع ، لانستطيع أن نحذف منها شيئاً .

جانب الثروة اللغوية :

حصل التلميذ على ثروة لغوية ، لاتقل عن ٣٠٠ كلمة جديدة وردت فى مادة القراءة ، وقد درست هذه الكلمات فى مجالها الاستعمالى ، لا فى مجال مبتور .

جانب التذوق الأدبى :

درس التلاميذ نحو مائة بيت من الشعر ، وحفظوها بعد فهم وتذوق ونقد ، ودرسوا — كذلك — ثلاثين بيتاً أخرى ، وحفظوا أيضاً نحو ثلاثين سطراً من النثر ، ودرسوا عشرين أخرى دراسة نقدية تذوقية شاملة .

الأعمال التحريرية :

بهذه الطريقة أصبحت اللغة — فى كل اتجاهاتها — تتناولها الأعمال التحريرية ، فالتلميذ يجيب كتابة عن أسئلة القراءة ، ويعبر عن المعنى العام للمقروء ، أو يناقشه ، أو ينقده ، ويستعمل الألفاظ التى اكتسبها فى أساليب جديدة ، ويراعى الضبط فيما يحتاج إليه ، ويرسم الكلمات رسماً صحيحاً وجميلا ، كل ذلك فى إطار موحد ، من غير تفرقة بين فرع وآخر ؛ وبذلك اكتسب التلميذ دقة فى أعماله التحريرية جميعها ، لايختص بهذه الدقة ناحية دون أخرى ؛ إذا ليس للإملاء — مثلا — فرصة خاصة ، يصيب فيها ، ويخطئ فى غيرها ، وليس للخط حصة يحسن فيها ، ولايحسن فى غيرها ، وليس للإعراب والضبط السليم وقت معين ، يهتم بهما فيه ، ويهملان فى غيره .

ولو رجعنا إلى طريقة الفروع لوجدنا أن التلميذ لايضبط إلا فى درس التطبيق ، ولا يكتب بأسلوب أدبى إلا فى كراسة التعبير الكتابى ، ولايرسم الكلمات رسماً صحيحاً إلا فى كراسة الإملاء ، ولا يرسمها رسماً جميلا إلا فى كراسة الخط ؛ وذلك لانفصال كل فرع عن الآخر فى ذهنه .

وفى طريقة الوحدة لايتقيد المدرس بما يفرضه المنهج من تحديد عدد معين لموضوعات الإملاء ، وموضوعات التعبير والتطبيق ، بل يتجاوز هذه المقدرات التى تحدّ من نشاطه ، وتضع أمامه قيوداً وحدوداً تضايقه من ناحية ، وتوجه همه إلى الخلاص منها ، من ناحية أخرى .

الأعمال الشفوية :

فى كل درس من الدروس يقوم التلميذ بالأعمال الشفوية ، من قراءة ومناقشة وتعبير ونقد وتذوق أدبى ، وكثير من الأعمال التحريرية تسبق بالمناقشات والأحاديث الشفوية من جانب التلميذ ، ودور المعلم إنما هو التوجيه والإرشاد .

جانب الضبط اللغوى :

هذه الطريقة تحمل التلميذ على تحرّى الضبط الصحيح ، فى كل ما ينطق ويكتب ، مستخدماً فى ذلك ما مرن عليه فى مناقشات القواعد التى درسها ، وفى التطبيق عليها ، وفرق بين هذه الطريقة وطريقة الفروع ، التى لايعرف فيها التلميذ القواعد إلا فى درس القواعد ، ولايعرف الضبط إلا فى عبارات التطبيق ، التى يطلب منه ضبطها .

وقد أمكن — بطريقة الوحدة أيضاً — معالجة المنهج المقرر فى موضوعات القواعد، معالجة يسيرة ، أصبحت جزءاً من السلوك اللغوى للتلميذ ، إذ اكتفى بأن يقدم له المصطلح فى نهاية الامتزاج الكامل بالقاعدة قراءة وكتابة ، وأصبحت كل مادة القراءة والكتابة تطبيقاً عمليًّا للقاعدة ، وأصبح من الصعب على التلميذ أن يفرّق بين القواعد وغير القواعد ، بل هى مادة لضبط القراءة الصحيحة ، والكتابة الصحيحة ، وليس الغرض من دراستها حفظ القاعدة .

بعض المشكلات والصعوبات فى هذه الطريقة :

صادفت هذه الطريقة بعض الصعوبات ، أهمها :

١ — أن أولياء الأمور أنكروها ؛ إذ وجدوا فيها جديداً لم يألفوه ، وخيل إليهم أن المدرسة تسلك بأبنائهم مسلكاً غير مدرسى ، وأنها تتجه بهم اتجاهاً لايؤهلهم لاجتياز امتحانات الوزارة ، ولكن ذُللت هذه الصعوبة ، بعقد اجتماع لهؤلاء الآباء فى المدرسة ، شرحت لهم فيه أصول هذه الطريقة وفوائدها ، وصارت هذه الطريقة بعد ذلك موضع استحسانهم وثنائهم .

٢ — أن هذه الطريقة اقترحت على المدرسة فى أوائل العام الدراسى ، لاقبله بوقت كاف يسمح بإعداد المادة المناسبة للقراءة وطبعها ؛ ولكن حماسة المدرسين ، حملتهم على مضاعفة الجهود ؛ فتغلبوا على هذه الصعوبة أيضاً .

٣ — كثرة الأعمال الكتابية التى تحتاج إلى مزيد من الوقت والجهد لتصحيحها .

نتائج مقارنة :

ذكرنا سابقاً ما قرأه التلاميذ فى خلال العام الدراسى ، وبينا أنه يبلغ نحو خمسة أمثال ما يقرؤه زملاؤهم فى المدارس الأخرى .

كما أن هؤلاء التلاميذ الذين مارسوا هذه التجربة قد كتبوا أكثر من خمسة وعشرين موضوعاً فى التعبير ، وأكثر من خمس وعشرين قطعة إملائية ، وهذه المقادير تبلغ ضعفى ما يكتبه التلاميذ فى المدارس الأخرى .

وقد لوحظ — كذلك — أن الفترات التى تركت للتلميذ ؛ ليدرب فيها على تحسين خطه ، تزيد على الفترات المحددة فى المنهج الدراسى ، الذى يعالج بنظرية الفروع .

٢ — طريقة التعيينات :

هذه تجربة ثانية من التجارب التربوية التى نعرضها فى هذا الباب وهى تقوم على طريقة التعيينات ، ولهذه الطريقة نظامان :

(ا) أن نحيل الطلاب على نص من النصوص فى الكتاب ، أو فى أوراق مطبوعة ، ونوجه إليهم طائفة كبيرة من الأسئلة حول هذا النص ، تتجه إلى اختبار الفهم والذوق والقدرة على الاستنباط ، وفى درس تال نناقش الطلاب ؛ لمعرفة مدى قدرتهم على الاستقلال بالبحث .

(ب) أن نكلف ثلاثة من الطلاب إعداد بحث فى موضوع معين ، نحدده لهم ، ونزودهم بالكتب التى يرجعون إليها ، وفى حصة تالية نختار أحد هؤلاء الطلاب ليشرح هذا الموضوع لإخوانه فى الفصل فى نحو خمس عشرة دقيقة ، ثم نطلب إلى الثانى ممن أعدوا هذا الموضوع أن يقوم فيزيد على الأول ما فاته من عناصر البحث ، وكذلك الزميل الثالث ، ثم يعقب المدرس على الجميع ، وبعد ذلك يكلف مجموعة أخرى من الطلاب . . وهكذا . .

ولهذه الطريقة مزايا متعددة ؛ فهى تعوّد الطلاب الاستقلال بالعمل ، والانتفاع بالمراجع فى إعداد البحوث ، كما أنها تربى فيهم الاعتماد على النفس ، وتذكى فيهم المنافسة ، والرغبة فى التجويد .

٣ ــ القراءة الصحفية :

تجربة مبتكرة قامت بها مدرسة النقراشى النموذجية الثانوية ، اتخذت فيها الصحف اليومية والمجلات مادة للقراءة والمناقشة والتعبير .

أساس هذه التجربة :

ميل الطلاب إلى قراءة الصحف ، وإقبالهم على مادتها ، وتتبع موضوعاتها ، وأخبارها ؛ لما يأتى :

١ ــ الصحف تطالعنا دائما بمادة طريفة ، وموضوعات جديدة ، والتجديد من عوامل الإثارة والتشويق .

٢ ــ أكثر الموضوعات الصحفية ، من موضوعات الساعة ، التى تدور فى الأذهان ، وتشغل الرأى العام ، بل قد تشغل الرأى العام العالمى ، والطالب يشوقه أن يعيش مع الناس ، ويشترك فى مناقشة ما يشغلهم ، وفى اقتراح الحلول السليمة لمشكلاتهم ؛ فيحس بذلك أنه مواطن له شأنه ، ومن هنا يعظم إقباله على القراءة الصحفية ، والاستماع إليها ، ومناقشة مادتها .

خطوات هذه التجربة :

١ ــ يقسم المدرس طلاب الفصل مجموعات ، تتكون كل منها من خمسة أو ستة .

٢ ــ يكلف المدرس أفراد كل مجموعة أن يتدارسوا ــ بصورة عامة ــ الصحيفة التى معهم قبل الحصة ، ويختاروا أهم أخبارها فى نظرهم ويناقشوه فيما بينهم مناقشة إجمالية ، ويحسن أن يضع المدرس نظاماً يقضى بشراء مجموعة من الصحف والمجلات مما يجمعه من الطلاب ، فى صورة اشتراك صحفى ، ولتكن قيمة الاشتراك قرشاً واحداً فى الأسبوع ، ويمكن بهذه القروش شراء عدة صحف وبعض المجلات كل يوم .

٣ ــ إذا بدأ الدرس اختار المدرس طالباً من إحدى المجموعات وأجلسه مكانه ، والصحيفة أمامه ، ويعتبر هذا الطالب رئيساً للجلسة ، أما المدرس فيتخذ مجلسه بين طلابه فى آخر الفصل ، كأنه فرد منهم .

٤ ــ يقرأ رئيس الجلسة فى الصحيفة التى بيده الخبر الذى استرعى نظره ، ونظر

زملائه فى مجموعته ، وبعد أن ينتهى من قراءته ، يوجز هذا الخبر بعبارة عربية سليمة ، ثم يعلن بدء المناقشة ، وأنه مستعد للرد على ما يوجه إليه من أسئلة حول هذا الموضوع .

ولرئيس الجلسة الحق المطلق فى اختيار من يشاء من الطلاب ليسمع سؤاله ، وليجيبه ، سواء أكان هذا الطالب من مجموعته أم من غيرها ، مع ملاحظة أن تلتزم فى جميع الأسئلة والإجابات والمناقشات اللغة العربية السليمة ، فإذا تمت مناقشة الموضوع ترك الرئيس مكانه ، واختار الأستاذ طالباً غيره ، من مجموعة أخرى ؛ ليحل محل زميله السابق . . . وهكذا .

تقويم هذه التجربة :

حققت هذه التجربة كثيراً من الغايات التربوية بوجه عام ، والأهداف اللغوية بصفة خاصة .

١ ــ فقد أثارت إعجاب التلاميذ بها ، وإقبالهم عليها ، فى سرور وشوق .

٢ ــ وكانت فرصة طيبة ، درب فيها الطلاب على فن السؤال والحوار ، والإجابة المقنعة المركزة ، كما دربوا على التفكير العميق ، والربط بين المعلومات والأحداث ، وتفتحت عيونهم وعقولهم على آفاق جديدة من البحث والقراءة والتعبير .

٣ ــ هيأت للطلاب نماذج للمواقف الحيوية ، التى يستخدمون فيها اللغة العربية السليمة ، استخداماً ناجحاً فى مجالات الفهم : والاستماع ، والقراءة ، والتفكير ، والتعبير .

ولقد أتيح لمجلة « المصور » أن تشهد إحدى هذه الجلسات ، وأن تسجل ما دار فيها ، وكتبت بعد ذلك تعليقاً على هذه التجربة ، قالت فيه :

« كنا ــ إلى عهد قريب جداً ــ نسمع أن مدرساً ضبط تلميذاً وهو يقرأ إحدى الصحف أو المجلات ، وأن المدرسة قد وقعت عليه عقوبة شديدة لهذا السبب ، أما اليوم فقد تبدل الحال ، وتنبه رجال التعليم أخيراً إلى ذلك الدور الهام الذى تلعبه الصحافة فى تزويد طبقات الشعب المختلفة بزاد طيب من الثقافة العصرية المختارة ؛ ولذلك أصبحت المدرسة هى التى تجلب المجلات والصحف لتلاميذها ، وتحثهم على قراءتها ، وتقرر لهم حصصاً يناقش فيها الأساتذة تلاميذهم فيما طالعوه من بحوث ، وما فهموه من آراء .

« وفى الأسبوع الماضى أتيح « للمصور » أن يحضر إحدى حصص المطالعة الصحفية بمدرسة النقراشى النموذجية بالقبة ، واستمع إلى تلاميذ السنة الثانية[1] الثانوية ، الذين لاتتجاوز أعمارهم الثلاثة عشر ربيعاً ، وهم يتناقشون ويتجادلون — بإشراف أستاذهم — فى أدق المسائل الاجتماعية والسياسية ، بطريقة تدل على وثبة كريمة ، تبشر بنضج ذهنى مبكر » .

٤ — تجربة المنهج المتكامل :

أجريت هذه التجربة فى أحد فصول الصف الأول بمدرسة النقراشى النموذجية الثانوية ، فى العام الدراسى (٥٨ — ٥٩) .

هدف هذه التجربة :

إحكام الصلة بين فروع اللغة العربية ، وتوثيق العلاقة الطبيعية بينها ، والعمل على أن يخدم كل فرع منها بقية الفروع ، ليكون النمو اللغوى نمواً متكاملا ، تحقق به الأهداف اللغوية جميعها .

الأسس العامة للتجربة :

١ — اتخاذ النصوص الأدبية محوراً للدراسات اللغوية ؛ وذلك لما يتوافر فى هذه النصوص من المزايا التى تتحقق بها فكرة « المنهج المتكامل » ومن هذه المزايا :

(ا) أن دراسة اللغة فى المرحلة الثانوية ، يغلب عليها الناحية الجمالية ، بعد أن يكون الطالب قد أتقن الناحية الشكلية .

(ب) والنص الأدبى أسمى أنواع الإنتاج اللغوى ؛ لما فيه من الصور الرائعة ، والتعبيرات الدقيقة ، والأخيلة البارعة .

(حـ) ويمكن فى درس النص الأدبى معالجة الألوان البلاغية ودراستها دراسة ممتعة فى ظلال هذا النص .

(د) ودراسة النصوص تقتضى الاستعانة بالمراجع ؛ وفى هذا تهيئة للقراءة الحرة

---

(١) كانت المدرسة الثانوية فى ذلك الوقت تتكون من خمس فرق .

الواسعة ، كما تقتضى الرجوع إلى قواعد اللغة ، فتكون الدراسة النحوية دراسة طبيعية ذات وظيفة عملية .

٢ — سير التجربة فى حدود الخطة الدراسية ، والمنهج المقرر لهذا الصف .

٣ — اعتماد التجربة على نشاط الطلبة نشاطاً حرًّا مستقلاً ، تبرز فيه القراءة الواسعة ، وانفرادهم بالبحث ، والرجوع إلى المصادر ، وإعداد المذكرات والتقريرات .

منهج التجربة :

اشتق لهذه التجربة منهج يجمع بين عناصر المنهج الدراسى ، وعناصر أخرى أضيفت إليه .

فالمنهج الأصلى يقضى بدراسة الأدب فى عصور محدودة هى : العصر الجاهلى ، والعصر الإسلامى ، والعصر الأموى ، ولما كانت فكرة التجربة ترمى إلى تكامل المنهج ، فقد اتجهت — لتحقيق هذا التكامل — إلى وسيلتين :

١ — الربط بين فروع اللغة :

٢ — تتبع الفنون الأدبية فى العصور المختلفة .

واقتضى هذا اختيار طائفة من النصوص ، معظمها من العصور المقررة ، وبعضها من العصور التالية ، وبخاصة العصر الحديث ، ووضع لهذه النصوص المختارة ضابط دقيق يحدد اتجاهها ، وذلك بجعلها وحدات مختلفة هى :

الحرب والبطولة — المرأة — العصبية القبلية فى الجاهلية — اتصال العرب بغيرهم — مصادر الثقافة العربية .

واختيار عدة نصوص لكل وحدة من هذه الوحدات . وسارت التجربة على أساس النصوص المختارة ، فتدرس دراسة نقدية تذوقية ، تعتمد غالباً على استقلال التلميذ ورجوعه إلى المصادر المختلفة ، مسترشداً بما بين يديه من أسئلة كثيرة منوعة ، حول النص الذى يعالجه :

كما تدرس فى ظلال هذه النصوص الأساليب النحوية التى حددها المنهج ، وبعض الألوان البلاغية ، التى تتصل بأسرار الجمال الفنى فى الأدب .

وتعتمد هذه التجربة — كذلك — على القراءة الحرة ، لاستكمال البحث ، واستيفاء

عناصر الدراسة ، التى لا تتسع لها الحصص . وقد أعدت للطلبة مكتبة خاصة فى الفصل ، تحتوى على ما يحتاجون إليه من كتب ومراجع .

٥ — دراسة الأدب حول محور من الأحداث التاريخية :

اطلعت على تجربة من هذا النوع فى مدرسة المعادى النموذجية الثانوية .

نظر المدرسون إلى منهج السنة الأولى فى العصر الجاهلى ، فإذا هو ينص على ثلاثة أشياء هامة هى :

تصوير الشعر الجاهلى لحياة العرب ، وتنوع هذا الشعر فنوناً وأغراضاً مختلفة ، وترجمة بعض الشعراء .

فرأوا أن يديروا هذ المنهج حول ثلاث قصص هى :

١ — قصة امرئ القيس وحياته .

٢ — قصة حرب داحس والغبراء .

٣ — قصة النعمان ومجالسه ، وعلاقته بالشعراء ، وشىء من سيرته .

وأعدوا طائفة كبيرة من الأسئلة فى كل قصة .

وقد رأيت أن هذه القصص وأسئلتها قد تكفلت بتحقيق أهداف المنهج ، وهى تصوير الحياة العربية الجاهلية فى السلم والحرب ، ووصف العادات ، وأساليب العيش .

كما عرضت هذه القصص نماذج من فنون الشعر الجاهلى المختلفة : كالوصف والحماسة والفخر والمدح والرثاء والهجاء والحكم ، وعرضت أيضاً تراجم شائقة لكل من امرئ القيس وعنترة وزهير والنابغة .

ومن الفوائد التى حققتها هذه القصص أن الطلاب قرءوها جميعها فى شوق وإقبال ، وتبارزوا فى الإجابة عن الأسئلة ، وكان كثير من هذه الإجابات أشبه ببحث أدبى ممتاز .

وكذلك فعل مدرسو الصف الثانى ، فكلفوا التلاميذ أن يقرءوا كتاب « هرون الرشيد » للمرحوم الأستاذ أحمد أمين ، وأن يربطوا بين مادة هذا الكتاب والموضوعات المقررة ، فنجحت هذه الدراسة ، وألم الطلاب بفكرة قيمة عن العصر العباسى ، تاريخه وأدبه فى أبهى أوقاته .

ومن الأحداث التاريخية التى يمكن دراسة الأدب فى ظلها :

(ا) حرب البسوس فى العصر الجاهلى .

(ب) يوم بدر ، ويوم السقيفة فى عصر صدر الإسلام .

(حـ) استخلاف يزيد فى العصر الأموى .

(د) نكبة البرامكة فى العصر العباسى .

(هـ) الحركات القومية ، والثورات التحررية فى العصر الحديث . وقد قامت مدرسة الأورمان النموذجية الثانوية بإجراء تجربة مماثلة ، وجعلت « كفاح العرب فى سبيل قوميتهم » محور الدراسة الأدبية ، المقترحة للصف الثانى .

٦ — دراسة الأدب فى ظل القومية العربية :

قامت بهذه التجربة مدرسة النقراشى النموذجية الثانوية ، فى العامين الدراسيين (٥٩ — ٦٠) و (٦٠ — ٦١) .

فلسفة هذه التجربة :

تقوم هذه الفلسفة على الإيمان بأن التربية الصحيحة هى التى تشتق أهدافها وغاياتها من أهداف المجتمع وغاياته ، ولا شك أن أهم الأهداف القومية ، فى حياتنا الحاضرة ، إنما هو القومية العربية ، التى انطلقت من إسار العصور الماضية ، واحتلت مكان الصدارة بين أحداث الشرق ، وأصبحت من عوامل اليقظة والبعث فى الأمة العربية ، ومن دواعى الفزع والأرق للدول الاستعمارية .

أهداف هذه التجربة :

١ — إسهام العملية التربوية فى خدمة الأهداف القومية .

٢ — توثيق الصلة بين المنهج الأدبى والتيارات الفكرية ، التى توقظ المشاعر ، وتثير العواطف ؛ فى ذلك حياة وقوة لدرس الأدب .

منهج التجربة :

يقوم هذا المنهج على اختيار طائفة من النصوص الأدبية ، تتصل بهذا المعنى القومى وتبرزه ، وتعرض صوره فى العصور المختلفة .

صعوبات التجربة :

نسجل — فيما يلى — شيئاً من الصعوبات التى اعترضت القائمين على هذه التجربة ، فى أول الأمر ، والتى ذكروها مفصلة فى الكتاب الذى أصدرته المدرسة عن هذه التجربة ، كان من هذه الصعوبات :

١ — أن القومية العربية بالمعنى الذى نفهمه الآن . لم تكن واضحة فى كثير من العصور السابقة ، وأن سمات هذه القومية لم تظهر إلا فى الفترات التى امتحن فيها العرب بحرب أعدائهم .

٢ — أن الأدباء العرب قد شغلتهم مآربهم الخاصة عن الهتاف بالقومية العربية ، والذياد عنها ، والدعاية لها ، ولم يتجهوا إلى هذه الغايات العامة اتجاهاً عامداً قوياً فى العصور السابقة .

٣ — لم تكن الوحدة العربية سائدة صفوف العرب فى جميع الفترات التاريخية الماضية ، بل تعرّض العرب لعوامل التفرقة والانقسام والمنازعات ، وكان لهذه الفرقة أثر فى توهين الروابط القومية .

٤ — جهد الاستعمار التركى ، والاستعمار الغربى فى تمزيق الوحدة العربية ، وتقسيم الوطن العربى الكبير ، دولا وأوطاناً متعددة .

٥ — كتب الأدب التى فى أيدى التلاميذ ، تسير فى اتجاه مغاير لاتجاه هذه الطريقة ، فلا يمكن الاكتفاء بها ، بل لابد من اختيار أكثر النصوص الصالحة من مصادر أخرى .

٦ — وهناك صعوبة جوهرية أخرى ، وهى أن المنهج المقرر يقضى بدراسة حقائق ومسائل أخرى ، لاترتبط بالقومية العربية ، والمفروض فى التجربة أنها لاتتعارض مع المنهج ، ولاتنقص منه شيئاً .

كيف ذللت هذه الصعوبات ؟

يمكن ردّ هذه الصعوبات إلى نوعين : نوع يتصل باختيار النصوص ومشقة العثور على ما يلائم التجربة منها ، وقد أمكن التغلب على هذه الصعوبة بمضاعفة الجهد ، ومعاناة الصبر فى البحث ، ونوع يتصل بالمنهج ، وضرورة الوفاء به ، وقد أمكن علاج

هذه الصعوبة بالتوسع فى فهم القومية العربية ، وإضافة وحدات أخرى ، تتصل بهذه القومية العربية من ناحية ، وتسمح بدراسة ما يتطلبه المنهج من ناحية ، وتعزيز ذلك أيضاً بجعل موضوعات القراءة والتعبير ، والتدريب اللغوى مما يخدم فكرة التجربة .

ومن الوحدات التى أضيفت :

١ — المجتمع العربى : وفى هذه الوحدة درست نصوص تمثل العصبية القبلية ، ونصوص تمثل التضامن العربى .

٢ — ملامح الشخصية القومية : وقد تجلت هذه الملامح فى أشعار الفخر والهجاء والمدح والحكم والوصف ، وفيما نطق به العرب من الأمثال والوصايا ونحوها .

٣ — كفاح العرب : وقد صور الأدب العربى كثيراً من ظواهر هذا الكفاح ، ومن المبادئ والبطولات العربية .

٤ — مقومات القومية العربية : اتسعت هذه الوحدة لتصوير الجهود العربية فى العلم والثقافة ، كما اتسعت للتعبير عن وحدة المشاعر والآمال بين الأوطان العربية .

تنفيذ التجربة :

رأت المدرسة تنفيذها فى الصفين الأول والثانى ، مستعينة بطبع النصوص فى بطاقات تحتوى على أسئلة كثيرة ، يعالج الطلاب بعضها فى الفصل مع المدرسين ، ويستقلون ببعضها فى المنزل .

واتخذت المدرسة وسائل أخرى لنجاح هذه التجربة ؛ فقد عنيت بشراء الكتب والمراجع ، وجعلها بين أيدى الطلاب فى مكتبات الفصول ، أو مكتبة المدرسة ، وخصصت للقومية العربية ركناً فى مجلة المدرسة ، التى تصدر كل أسبوع ، وركنا يومياً فى الإذاعة المدرسية ، وحفزت الطلاب على كتابة البحوث ، ومنحت المتفوقين جوائز .

تقويم هذه الطريقة :

دُرست إجابات الطلاب فى الاختبارات الشهرية والفترية ، وفى الامتحانات التجريبية وامتحان النقل ، فأثبتت هذه الإجابات ما يشهد بنجاح التجربة .

٧ – اليوميات :

وهذه تجربة فى تدريب التلاميذ على التعبير الحر ، قامت بها مدرسة المعادى النموذجية الثانوية ، فى العام الدراسى (٦٠ – ٦١) وتقوم فلسفة هذه التجربة على أن من أهم الوسائل لتقدم التلاميذ فى التعبير ، أن يكثروا من الكتابة ، وأن يشجعوا عليها ، وأن يكونوا أحراراً فى اختيار ما يعالجونه من الموضوعات .

وقد رأت المدرسة ألا تقتصر كتابة الطلاب على الموضوعات التى تقترح عليهم فى حصة التعبير ، بل عليهم أن يضيفوا إليها موضوعات أخرى يتخيرونها ، واصطلح على تسميتها « يوميات » ولكى يهتم الطلاب بهذا الواجب الإضافى ، رأت المدرسة أن تكتب هذه اليوميات فى الكراسات الأصلية للإنشاء ؛ حتى تكون موضع الاهتمام من الطلاب ، وموضع العناية والإشراف الدقيق من المدرسين .

ولقد اطلعت على بعض هذه الكراسات ، فرأيت احتفاء الطلاب بهذه اليوميات ، من حيث اختيار مادتها ، وتحرّى الإجادة فى عرضها ، كما رأيت أثر هذه التجربة واضحاً فى تقدم أساليبهم ، وسعة آفاقهم ، وإقبالهم على الكتابة ؛ إذ أن الطالب كان يكتب موضوعين أو أكثر من هذه اليوميات بعد كل موضوع من الموضوعات المشتركة .

٨ – المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى فى دروس الدين :

رأت مدرسة الأورمان النموذجية الثانوية أن تدخل التربية الدينية فى نطاق التجارب التربوية ، فاختارت هذا الموضوع ؛ ليدرس فى ظلاله الصفان الأول والثانى ما يتصل به من النصوص الدينية ، والبحوث الإسلامية ، وقد استطاع القائمون على هذه التجربة أن يطوّعوا موضوعات المنهج لهذه الدراسة التجريبية ؛ فحققوا بذلك فوائد كثيرة ، منها :

١ – توجيه الدروس الدينية إلى أهداف واضحة ، وغايات تمتلئ بها نفوس الطلاب .

٢ – ربط دروس الدين بالحياة ، وتوضيح مزايا الدين الإسلامى وأثره فى تنظيم الحياة الاجتماعية .

٣ – تشويق التلاميذ إلى الدروس ، وإغراؤهم بالإقبال عليها ، والمشاركة فيها .

٤ – ربط الموضوعات المدروسة بالنصوص الدينية التى توضحها .

منهج التجربة :

نعرض – فيما يلى – أمثلة من الموضوعات التى اختارتها المدرسة لهذه التجربة .

(أ) درس تحت عنوان « المجتمع الاشتراكى » النصوص والموضوعات الآتية :

١ – نظرة الإسلام إلى المال ، وحق المجتمع فيه ، ويوضح ذلك فيما يأتى :

القرآن : مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله[١] . . . .

ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى[٢] . . . . .

الحديث : إن لربك عليك حقاً . . . .

من كان عنده فضل ظهر . . . .

الموضوعات العامة : المحافظة على النفس والمال .

٢ – العمل والإنتاج :

القرآن : هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا[٣] . . . .

فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض[٤] . . .

الحديث : لأن يأخذ أحدكم حبلا . . . .

ما أكل ابن آدم طعاماً قط . . . .

الموضوعات العامة : السعى فى طلب الرزق .

(ب) ودرس تحت عنوان « المجتمع الديمقراطى » النصوص والموضوعات الآتية :

القرآن : يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى[٥] . . . .

إنما المؤمنون إخوة[٦] . . . .

الحديث : خطبة الرسول فى حجة الوداع .

الناس سواسية كأسنان المشط .

المسلمون تتكافأ دماؤهم . . . .

لايكن أحدكم إمعة . . . . .

---

(١) سورة البقرة – الآية (٢٦١) .
(٢) سورة الحشر – الآية (٧) .
(٣) سورة الملك : الآية (١٥) .
(٤) سورة الجمعة : الآية (١٠) .
(٥) سورة الحجرات : الآية (١٣) .
(٦) سورة الحجرات : الآية (١٠) .

الموضوعات العامة : المساواة بين الناس فى المعاملة والقانون .

(حـ) ودرس تحت عنوان « المجتمع التعاونى » النصوص والموضوعات الآتية :

القرآن : واعتصموا بحبل الله جميعاً [١] . . . .

وتعاونوا على البر والتقوى [٢] . . .

ولتكن منكم أمة يدعون [٣] . . . .

الحديث : كلكم راع . . . .

ما من وال يلى رعية . . . .

الموضوعات العامة : روح الجماعة فى الإسلام ، وتتمثل فى الصلاة والحج والزكاة .

المسئولية الخاصة والعامة نحو النفس والأسرة والمجتمع .

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١٠٣) .

(٢) سورة المائدة : الآية (٢) .

(٣) سورة آل عمران : الآية (١٠٤) .